اهداءات ١٩٩٨
الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة

الإسلام بين العلم والمدنية
(١)

مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(التنوير)

الإسلام بين العلم والمدنية
الإمام محمد عبده

لوحة الغلاف
للفنان جمال قطب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الاعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

المشرف العام

د. سمير سرحان

الإسلام بين العلم والمدنية

(١)

الإمام محمد عبده

على سبيل التقديم...

لان المعرفة اهم من الثروة واهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الاساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الاسرة المصرية اطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الاسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الاهمية لهذا المهرجان كاضخم مشروع نشر لروائع الادب العربى من اعمال فكرية وإبداعية وايضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للافكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الاسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الامة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما انتجته عبقرية هذه الامة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من اهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الاسرة فى الأسواق باسعار رمزية اثبتت التجربة ان الايدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الاكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على ان ياخذ مكانه اللائق بين الامم فى عالم اصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

الاســلام والمســلمون

الانسان عالم صناعى

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » ٠

خلق الله الانسان عالما صناعيا ، ويسر له سبيل العمل لنفسه ، وهداه للابداع والاختراع ، وقدر له الرزق من صنع يديه ، بل جعله ركن وجوده ودعامة بقائه ، فهو على جميع احواله من ضيق وسعة ، وخشونة ورفاهية ، وبيد وحضارة صنيعة اعماله ، واقواته من معالجة الأرض بالزراعة ، أو قيامه على الماشية ، وسرابيله وما يقيه الحر والبرد والوجى من عمل يديه نسجا أو خصفا ، واكنانه ومساكنه ليست ألا مظاهر تقديره وتفكيره ، وجميع ما يتفنمه فيه من دواعى ترفه ونعيمه انما هى صور أعماله ومجالى افكاره ، ولو نفض يديه من العمل لنفسه ساعة من الزمان وبسط كفيه للطبيعة ، ليستجديها نفسا من حياة لشحت به عليه بل دفعته الى هاوية العدم ، وهو فى صنعه وابداعه محتاج الى أستاذ يثقفه وهاد يرشده ، فكما يعمل لتوفير لوازم معيشته وحاجات حياته يعمل كيف يعمل وليقتدر أن يعمل ، فصنعته أيضا من صنعه، فهو فى جميع شئونه الحيوية عالم صناعى كأنه منفصل عن الطبيعة بعيد من آثارها ، حاجته اليها كحاجة العامل لآلة العمل ٠ هذا هو الانسان فى مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه ٠

دعه فى هذه الحالة وخذ طريقا من النظر الى أحواله النفسية ، من الادراك والتعقل والاخلاص والملكات والانفعالات

الروحية ، تجده فيها أيضا عالما صناعيا ، شجاعته وجبنته ، جزعه وصبره ، كرمه وبخله ، شهامته ونذالته ، قسوته ولينه ، عفته وشرهه ، وما يشابهها من الكمالات والنقائص جميعا تابع لما يصادفه في ترسيته الاولى وما يودع في نفسه من أحوال الذين نشأ فيهم وتربى بينهم مرامي أفكاره ومناهج تعقله ومذاهب ميله ومطامح رغباته ونزوعه الى الأسرار الالهية أو ركونه الى البحث في الخوض الطبيعية وعنايته باكتشافه الحقيقة في كل شيء أو وقوفه عند بادىء الرأى فيه وكل ما يرتبط بالحركات الفكرية انما هي ودائع اختزنها لديه الآباء والأمهات والأقوام والعشائر والمخالطون ، أما هواء المولد والمربى ونوع المزاج وشكل الدماغ وتركيب البدن وسائر الغواشي الطبيعية فلا أثر لها في الأعراض النفسية والصفات الروحانية ، الا ما يكون في الاستعداد والقابلية ، على ضعف في ذلك الآثر فان التربية وما ينطبع في النفس من أحوال المعاشرين وأفكار المثقفين تذهب به وكان لم يكن أودع في الطبع • نعم أن أفكارا تتجدد ، ومعقولات من أخرى تتولد ، وصفات تسمو ، وهمما تعلو ، حتى يفوق اللاحقون فيها السابقين ويظن أن هذا من تصرف الطبيعة لا من آثار الاكتساب ، ولكن الحق فيه أنه ثمرة ما غرس ونتيجة ما كسب فهو مصنوع يتبع مصنوعا ، فالانسان في عقله وصفات روحه عالم صناعي •

هذا مما لا يرتاب فيه العقلاء ، ولكن هل تذكر ، مع هذا ، ان الأعمال البدنية ، انما تصدر عن الملكات والعزائم الروحية ، وان الروح هي السلطان القاهر على البدن ؟ أظنك لا تحتاج فيه الى تذكير لانه مما لا يغرب عن الأذهان ، انما قبل الدخول في موضوعنا أقول كلمة حق في الدين ، ولا أظن منكرا يجحدها •

ان الدين وضع الهي ومعلمه والداعي اليه البشر ، تتلقاه العقول عن المبشرين والمنذرين فهو منسوب لمن لم يختصهم الله

To: www.al-mostafa.com

بالوحي ، ومنقول عنهم بالبلاغ والدراسة والتعليم والتلقين وهو عند جميع الأمم أول ما يمتزج بالقلوب ويرسخ في الأفئدة وتصطبغ النفوس بعقائده وما يتبعهـا من الملكات والعـادات وتتمرن الأبدان على ما نشأ عنه من الأعمال عظيمها وحقيرها ، فله السلطة على الأفكار وما يطاوعها من العزائم والارادات ، فهو سلطان الروح ومرشـدها الى ما تدبر به بدنها ، وكأنما الانسان في نشأته لوح صقيل وأول ما يخط فيه رسم الدين ، ثم ينبعث الى سائـر الأعمال بدعوتـه وارشاده وما يطرأ على النفوس من غيره فانما هو نادر شاذ حتى الصفات بل تبقى طبعته فيه كأثر الجرح في البشرة بعد الاندمال ٠

وبعد فموضوع الديانة المسيحية والديانـة الاسلامية بحث طويل الذيل ، وانما نأتي به على اجمال ينبئك عن تفصيل ٠

الديانة المسيحية

ان الديانة المسيحية بنيت على المسالمة والمياسرة في كل شيء ، وجاءت برفـع القصاص واطـراح الملك والسلطة ونبـذ الدنيـا وبهرجها ، ووعظت بوجوب الخضوع لكل سلطان يحكم المتدينين بها ، وترك أموال السـلاطين للسلاطين ، والابتعـاد عن المنازعات الشخصية والجنسية بل والدينية ، ومن وصايا الانجيل : « من ضربك على خدك الأيمن فادر له الأيسر » ٠ ومن أخباره أن الملوا انما ولايتهم على الأجساد ، وهي فانية ، والولاية الحقيقية الباقية على الأرواح وهي لله وحـده ٠ فمن يقف على مباني هذه الديانـة ويلاحظ ما قلنا من أن الدين صاحب الشوكة العظمى على الأفكار مع ملاحظة أن لكل خيال أثرا في الارادة يتبعه حركة في البدن على حسبه ، يعجب كل العجب من أطوار الآخذين بهذا الدين السلمي المنتسبين في عقائدهم اليه ، فهم يتسابقون في المفاخرة والمباهاة بزينـة هذه الحياة ورفـه العيش فيها ، ولا يقفون عند حـد في استيفاء لذاتها ، ويسارعون في افتتاح الممالك والتغلب على الأقطار

الشائعة ويخترعون كل يوم فنا جديدا من فنون الحرب ، ويبدعون في اختراع الآلات الحربية القاتلة ، ويستعملها بعضهم في بعض ، ويصولون بهـــا على غيرهم ، ويبالغون في ترتيب الجيوش وتدبير سوقها في ميادين القتال ، ويصرفون عقولهم في أحكام نظامها حتى وصلوا غاية صار بها الفن العسكري من أوسع الفنون وأصعبها ، وان أصول دينهم صارفة لعقولهم عن العناية بحفظ أملاكهم فضلا عن الالتفات الى طلب غيرها ٠

الديانة الاسلامية

أما الديانة الاسلامية فقد وضـع أساسها على طلب الغلبـة والشوكة والافتتاح والعدة ورفض كل قانون يخالف شريعتها ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها ٠ فالناظر في أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل ، يحكم حكما لا ريبة فيه بأن المعتقدين بها لابد أن يكونوا أول ملة حربية في العـالم ، وان يسبقوا جميـع الملل الى اختراع الآلات القاتلة واتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمهـا من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجر الأثقال والهندسة وغيرها ٠ ومن تامل في آية : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » أيقن أن من صبغ بهذا الدين فقـد صبغ بحب الغلبـة وطلب كل وسيلة الى ما يسهل له سبيلها والسعي اليها بقـدر الطاقة البشريـة فضـلا عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه ، ومن لاحظ أن الشرع الاسلامي حرم المراهنة الا في السباقة والرماية انكشف مقدار رغبة الشارع في معرفة الفنون العسـكرية والتمرن عليهـا ، ولكن مع كل ذلك تأخذه الدهشة من أحوال المتمسكين بهذا الدين لهذه الأوقات اذ يراهم يتهاونون بالقوة ويتساهلون في طلب لوازمها وليست لهم عناية بالبراعة في فنون القتال ، ولا في اختراع الآلات ٠ حتى فاقتهم الأمم سواهم فيما كان أول واجب عليهم ، واضطروا لتقليدها فيما

يحتاجون اليه من تلك الفنون والآلات ، وسقط كثير منهم تحت سلطة مخالفيهم واستكانوا لها ورضخوا لأحكامها (١) ومن وازن بين الديانتين حار فكره كيف اخترع مدفع الكروب والمترااليوز وغيرهما بايدى أبناء الديانة الأولى قبل الثانية ؟ وكيف وجد بندقية مرتين فى ديار الأولين قبل وجودها عند الآخرين ؟ وكيف أحكمت الحصون ودرعت البواخر وأخذت مضالق البحار بسواعد اهل السلامة والسلم دون أهل الغلبة والحرب ؟

لم لا يحار الحكيم وان كان نطاسيا ، لم لا يقف الخبير البصير دون استكناه الحقيقة ؟ هل القرون الخالية والأحقاب الماضية لم تكن كافية لرسوخ الديانتين فى نفوس المستمسكين بعراهما ؟

هل نبذ كل دينه ؟

هل نبذ أهل كل دين عقائد دينهم من أجيال بعيدة ؟ هل اقتصر النصارى فى دينهم على الأخذ بشريعة موسى واقتفاء سيرة يوشع بن نون ؟ هل تخللت بعض ايات الانجيل من حكث يدرى ولا يدرى بين الخطب والمواعظ التى تتلى على منابر المسلمين ، أو ألقى شىء منها فى أمانى معلميهم وناشرى شريعتهم عندما يتربعون فى محافل دروسهم ؟ هل تبدلت سنة الله فى الملتين ؟ هل تحول مجرى الطبيعة فيهما ؟ هل استبدت الأبدان فيهما على الأرواح أو وجد للأرواح دبير سوى الفكر والخيال أو انفلتت الأفكار من سلطة الدين ، أو تغاضت النفوس عن الانتعاش بنقشته ، وهو أول حاكم

(١) هذا وصف دقيق صحيح لما كانت عليه حالة العرب جميعا فى عصر الأستاذ الامام محمد عبده ، ولكن الآية قد تبدلت فى عهد الثورة الحاضر الذى عنيت فيه الجمهورية العربية المتحدة خاصة ، والأمة العربية عامة باتباع الآية الكريمة : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » الى جانب النهوض بالتعليم ، ومن أهم وأعظم مظاهره مصانع الأسلحة والذخيرة . ولكن الدعوة الى التسليح ما زالت قائمة فى كل وقت لهذا الجيل ، وللأجيال القادمة ، ولكل أمة عربية واسلامية فى الشرق والغرب .

عليها وأقوى مؤثر فيها ؟ هل تتخلف العلل عن معلولاتها ؟ هل تنقطع النسب بين الأسباب ومسبباتها ؟ ماذا عساه أن يرشد العقول الى كشف المساتير وحل المعميات ؟ أينسب هذا الى اختلاف الأجناس ـ وكثير من أبناء الملتين يرجعون الى أصول واحدة ويتقاربون في الأنساب الدانية ـ أينسب هذا الى اختلاف الأقطار ، وكثير من القبيلين يتشابهون في طبائع البلدان ويتجاورون في مواقع الأمكنة ؟ ألم يصدر من المسلمين وهم في شبيبة دينهم أعمال بهرت الأبصار وأدهشت الألباب ؟ ألم يكن منهم مثل فارس والعرب والترك الذين دوخوا الممالك واستووا على كرسي السيادة فيها • كان للمسلمين في الحروب الصليبية آلات نارية (١) أشباه المدافع فزع لها المسيحيون وغابوا عن معرفة أسبابها•ذكر ملكام سرجم (انكليزي) في تاريخ الفرس ان محمودا الغزنوي (٢) كان يحارب وثنيي الهند بالمدافع ، وكانت هي السبب في انهزامهم بين يديه سنة (٤٠٠) من الهجرة ، وما كان المسيحيون لذلك العهد يعرفون شيئا منها • فأي عون من السحر أخذ بأيدي الملة المسيحية فقدمها الى ما لم يكن في قواعد دينها ؟ وأية صدمة من صدماته دفعت في صدور المسلمين فأخرتهم عن تعاطي الوسائل لما هو أول مفروض في دينهم•مقام للحيرة وموضع للعجب ، ويظن أن لابد لهذا التخالف من سبب ، نعم وتفصيله يطول ولكن نجمل على ما شرطنا :

ان الدين المسيحي انما امتد ظله وعمت دعوته في الممالك الأوربية من أبناء الرومانيين ، وهم على عقائد وآداب وملكات وعادات

(١) الآلات النارية ، هي التي عرفت أيام العرب باسم « النار الافريقية » ولا يعرف بالضبط من هم مخترعوها • وهي أقرب ما تكون ما عرف أيام الحرب العالمية الثانية باسم « سلة مولوتوف » غير أن الفرق بينهما أن الأولى كانت تتحمل مواد ملتهبة وتقذف بما يشبه المقلاع على العدو ، فتشتعل النيران حيث تقع • أما سلة مولوتوف فتحمل عدة قنابل تنفجر في عدة مواضع بدلا من موضع واحد •

(٢) السلطان محمود الغزنوي من أشهر رجال التاريخ ، وكان مسلما متدينا ، فتح غزنه « أفغانستان » ودخل الهند غازيا ، وأدخل فيها الدين الاسلامي •

ورثوها عن أديانهم السابقة وعلومهم وشرائعهم الأولى ، وجاء الدين المسيحي اليهم مسالما لعوائدهم ومذاهب عقولهم ، وداخلهم من طرق الاقناع ومسارقة الخواطر لا من مطارق الباس والقوة فكان كالطراز على مطارفهم ، ولم يسلبهم ما ورثوه عن أسلافهم ، ومع هذا فان صحف الانجيل الداعية للسلامة والسلم لم تكن كسابق العهد مما يتناوله الكافة من الناس ، بل كانت مذخورة عند الرؤساء الروحانيين ، ثم ان الأحبار الرومانيين (١) لما أقاموا أنفسهم في منصب التشريع وسنوا محاربة الصليب ودعوا اليها دعوة الدين التحمت آثارها في النفوس بالعقائد الدينية وجرت منها مجرى الأصول ، ولحقها على الأثر تزعزع عقائد المسيحية في أوربا ، وافترقوا شيعا وذهبوا مذاهب تنازع الدين في سلطته ، وعاد وميض ما أودعه أجدادهم في جراثيم وجودهم ضراما ، وتوسعوا في فنون كثيرة ، وانفسح لهم مجال الفكر فيها ، وكانت براعتهم في الفن العسكري واختراع آلات الحرب والدفاع مساوقة لبراعتهم في سائر الفنون .

اما المسلمون فبعد أن نالوا في نشأة دينهم ما نالوا ، وأخذوا من كل كمال حربي حظا ، وضربوا في كل فخار عسكري بسهم ، بل تقدموا سائر الملل في فنون المقارعة وعلوم النزال والمكافحة ، ظهر فيهم أقوام بلباس الدين وأبدعوا فيه ، وخلطوا بأصوله ما ليس منها ، فانتشرت بينهم قواعد الجبر ، وضربت في الأذهان حتى اخترقتها ، وامتزجت بالنفوس حتى أمسكت بعنانها عن الأعمال ، هذا الى ما أدخله الزنادقة فيما بين القرن الثالث والرابع وما أحدثه السوفسطائيون الذين انكروا مظاهر الوجود وعدوها خيالات تبدو للنظر ولا تثبتها الحقائق ، وما وضعه كذبة النقل من الأحاديث ،

---

(١) لقد عارض الاباطرة الرومان قيام الدين المسيحي في بداية الأمر لأنهم كانوا يعتقدون أن في هذا انتقاصا من سلطتهم الزمنية فضلا عن الدينية .

ينسبونهـــا الى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ويثبتونها فى الكتب ، وفيها السم القاتل لروح الغيرة ، وأن ما يلصـق منهـا بالعقول يوجب ضعفا فى الهمم وفتورا فى العزائم ، وتحقيق أهل الحق وقيامهم ببيان الصحيح والباطل من كل ذلك لم يرفع تأثيره عن العامة ، خصوصا بعد حصول النقص فى التعليم والتقصير فى ارشـاد الكافة الى أصول دينهم الحقة ، ومبانيه الثابتة التى دعا اليها النبى واصـحابه ، فلم تكن دراســة الدين على طريقهـــا القويم الا منحصرة فى دوائر مخصـوصة ، وبين فئة ضعيفة • لعل هذا هو العلة فى وقوفهم ، بل الموجب لتقهقرهم ، وهو الذى نعانى من عنائه اليوم مما نسأل الله السلامة منه •

الا أن هذه العوارض التى غشيت الدين وصرفت قلوب المسلمين عن رعايته ، وان كان حجابها كثيفا ، لكن بينها وبين الاعتقـادات الصحيحة التى لم يحـرموها بالمرة تدافـع دائم وتغالب لا ينقطع ، والمنازعة بين الحق والباطل كالمدافعة بين المرض وقوة المزاج ، وحيث أن الدين الحق هو أول صبغة صبغ الله بها نفوسهم ولا يزال وميض برقه يلوح فى أفئـدتهم بين تلك الغيوم العارضة فلابـد يوما أن يسطع ضياؤها وينقشع سحاب الأغيان ، وما دام القرآن يتلى بين المسلمين وهو كتـابهم المنزل ، وأمامهم الحق ، وهو القائم عليهم يأمرهم بحماية حوزتهم ، والدفاع عن ولايتهم ، ومغالبة المعتدين ، وطلب المنعة من كل سبيل ، ولا يعين لها وجها ، ولا يخصص لها طريقا ، فاننا لا نرتاب فى عودتهم الى مثل نشأتهم ونهوضهم الى مقاضاة الزمان ما سلب منهم ، فيتقدمون على من سواهم فى فنون الملاحمة والمنازلة والمصاولة حفظا لحقوقهم وضنا بأنفسهم عن الذل وملتهم عن الضياع والى الله تصير الأمور •

المسألة الاسلامية
بين هانوتو والانام

كتب مسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا في جريدة « الجرنال » الباريسية مقالا عن الاسلام والمسألة الاسلامية نشر في جريدة المؤيد . فرد عليه الاستاذ الامام بمقال بليغ افحمه في كل ما جاء به .

مقال مسيو هانوتو

وزير خارجية فرنسا

أصبحنا اليوم ازاء الاسلام والمسألة الاسلامية ٠

اخترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الأفريقية بسرعة لا تجارى حاملين فى حقائبهم بعض بقايا تمدن البيزنطيين « يونان الشرق »ثم تراموا بها على أوربا ، ولكنهم وجدوا فى نهاية انبعاثهم هذا مدنية يرجع أصلها الى آسيا بل أقرب فى الوصلة الى المدنية البيزنطية مما حملوه معهم الا وهى المدنية الآرية المسيحية ، ولذلك اضطروا الى الوقوف عند الحد الذى اليه وصلوا ، واكرهوا على الرجوع الى افريقية حيث ثبتت أقدامهم أحقابا متعاقبة ، ولكن كان لا يزال الهلال ينتهى طرفاه من جهة مدينة (القسطنطينية) ومن جهة أخرى ببلدة (فاس) فى المغرب الأقصى معانقا بذلك الغرب كله ٠

فى تلك البقعة الأفريقية التى أصبحت مقر ملك الاسلام جاءت الدولة الفرنسية لمباغتته ٠ جاء القديس (لويس) (١) الذى ينتمى الى أسبانيا بوالدته ليضرم نيران القتال فى مصر وتونس ، وتلاه لويس الرابع عشر فى تهديده بالأيالات الأفريقية الاسلامية ، وعاود هذا الخاطر (نابوليون الأول) فلم يوفق الى تحقيقه الفرنسيون الا فى القرن التاسع عشر حيث أخنوا على دولة الاسلام التى كانت

---

(١) القديس لويس هو لويس التاسع ملك فرنسا المتدين ، وهو قائد الحملة الصليبية التاسعة التى هزمت فى المنصورة عام ١٢٥٠ ٠ وأسر هذا القديس نفسه فى دار ابن لقمان ٠

لا تنى فى متابعة الغارات على القـارة الأوربية ، فاصبحت الجزائر فى أيديهم منـذ ٧٠ عاما (١٨٣٠) ، وكذلك القطر التونسى منـذ عشرين عاما (١٩١٢) ٠

قد وصلت طلائع قوانا الآن الى أصقاع من الصحراء تنتهى اليها كثبانها الرملية ، فعظم الدهاش الباقين من خصومنا وتزايد ذهولهم لأنهم بعد اندفاعهم شيئا فشيئا فى الفيافى وبطن الخبوت، وظنهم أنهم صـاروا فى أمنـع موئل ، شعروا بانفسهم وقد حلق عليهم الأوربيون من جميع الجهات وكانت القبائل الواردة اليهم من (السنغـال) أخبرتهـم بأن الأوربيين امتلكوها وتقـدموا منهم الى (باقل) (وباماكوا) (وسيجوسيكورو) وتوغلوا فى جهات أخرى حتى وصلوا الى (النيجر) وبحيرة (شاد) وان مدينة (تمبكتو) المقدسة قد سقطت فى أيديهم منذ أعوام ، وأكد لهم هذه الأخبار أيضا رسلهم الذين يخترقون افريقيـة الوسطى ويجوبون نواحيها بما ذكروه لهم من أن جهـات (صانغا) و (تجاوندره) قد وطأتها أقدام الحاملين للعلم المثلث الألوان الذين يصعدون الأنهار لتنظيم البلاد وترقية شئونها ، وان وابوراتهم فى (الأصـل بابور على التحريف الشائع عند الأمم الشرقية من تسمية البواخر النهريـة أو البحريـة بالبابورات بدلا من البواخـر) تشق عبـاب نهـرى (الكونغو) و (الشارى) (١) وتنعكس على سطحها صورة الدخان الأسود المسترسل خلفهما ، عندئذ كان يطرق الأذان صوت اليائسين وقد جلسوا أمام دورهم واضعين رءوسهم بين افخاذهم لكثرة الغم والكدر ، وهم يدعون الله ويكررون قولهم عن (فرنسا) يشبهونها بسرادق كبير اذا حاول الانسان قلعـة فـلا يزال له السمو عليه ، ويختمون كلامهم بقولهم (قد كان هذا قدرا مقدورا) ٠

---

(١) نهر شارى هو الذى يصب فى بحيرة شاد فى وسـط غرب افريقيا ٠

اذن فقد صـارت (فرنسا) بكل مكان فى صلة مع الاسلام بل صارت فى صدر الاسلام وكبده حيث فتحت اراضيه واخضعت لسطوتها شعوبه وقامت تجاهه مقام رؤسائه الأولين ، وهى تدير اليوم شئونه ، وتجبى ضرائبه ، وتحشد شبانه لخدمة الجندية ، وتتخذ منهم عساكر يذبون عنها فى مواقف الطعان ومواطن القتال . تلك المملكة الفسيحة الأرجاء التى أنشأتها فى باطن القارة الأفريقية هى الوارثة لما أبقته الدول السابقة والأمم البائدة من (قرطاجيين) (ورومانيين) و « عرب » من آثار المدنية التى كانت القارة الأفريقية منبتا لثمارها اليانعة .

خطـر الاسـلام

ان شعبا جمهورى المبادىء يبلغ عدد أبنائه أربعين مليونا ، لامرشد له الا نفسه ، لا عائلات ملوكية فيه تتنازعه الحكم ، ولا رؤساء يتناولون الرئاسة بطريق الوراثة ، هو الذى تقلد زمام ادارة شعب آخر لا يلبث أن ينمو حتى يساوى ضعف عدده وهو ذلك الشعب المنتشر فى الأرجـاء الفسيحة والأصـقاع المجهولة ، والمتبع لتقاليد وعادات غير التى نعنو لها ونحترمها ، هو الشعب الاسلامى السامى الأصل الذى يحمل اليه الشعب الآرى المسيحى الجمهورى الآن ملح وروح المدنية . نعم ان ظروف وشروط هذه المعضلة نادرة ، ولكن ليس على الشعب الغالب أن يحاول جهـده لمعرفتها والاطلاع عليها .

ليس الاسلام فينا فقط بل هو خارج عنا أيضا قريب منا فى (مراكش) تلك البلاد الخفية الأسرار التى يشبه وجودها الحاضر مقدور الأبد فى الغموض والاشتباه — قـريب منا فى (طرابلس الغرب) التى تتم بها المواصلات الأخيرة بين مركز الاسلام فى البحر الأبيض المتوسط ، وبين الطوائف الاسلاميـة فى بـاطن القـارة الأفريقية — قريب منا فى (مصر) حيث تصادمت (الدولة البريطانية)